ألف حكاية وحكاية (٤١)

يعقوب الشارونى

آبار فى الصحراء

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

ألف حكاية وحكاية (٤١)

آبار فى الصحراء

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر

آبار فى الصحـراء

تقولُ الحكاياتُ العربيَّةُ ، إن فتًى كان يعبرُ الصحراءَ وحيـدًا. واشتدَّ به العطشُ ، فبدأ يحفرُ بيدَيْـهِ حفرةً عميقةً ، حتى تفجَّرَ الدمُ من أصابعِه .

وأخيرًا تجمَّعَ فى قاعِ الحفرةِ بعضُ الماءِ ، فشربَ منه ، واستطاعَ أن يواصِلَ طريقَه الشاقَّ . وكلما عطشَ بعد ذلكَ ، كان يحفرُ ليجدَ شربةً مـن الماءِ ، إلى أنْ أصابَتِ الجراحُ يدَيْهِ . وأخيرًا وصلَ إلى نهايةِ رحلتِهِ ، وقد سالَ دمُه وأصابَهُ إعياءٌ شديدٌ .



وبعدَ أسابيعَ ، خرجَ إلى أطرافِ الصحراءِ ، فشاهدَ صبِيًّا تشعُّ السعادةُ من وجهِهِ ، وقد أمسكَ بين يَدَيْه بعضَ الزُّهورِ الجميلةِ .

كانَ المشهدُ مثيرًا للتعجُّبِ والدهشةِ ، خاصةً وأنَّ الصبىَّ كان قادمًا من نفسِ الطَّريقِ الشَّاقِّ ، فسألَه الفتى:

" كيف تعبرُ هذه الصحراءَ الموحشةَ ، وتبدو مع ذلك مُنْتَعِشًا سعيدًا ؟!"

أجابَ الصبِىُّ : " إن الطريقَ مُريحٌ ، وتوجَدُ به آبارٌ صغيرةٌ ، يتجَّمعُ فيها الماءُ البارِدُ ، وحولَ كلِّ بئرٍ توجَدُ أزهارٌ وزرعٌ أخضرُ . لذلك لم أجدْ أيَّةَ صعوبةٍ فى عبورِ الصحراءِ " .

عندئذٍ نظر الأولُ إلى أصابِعِهِ المجروحةِ ، وعرفَ أنَّ كفاحَهُ ومعاناتَهُ هما اللذان جعلا الصحراءَ مُزهرةً ، والطريقَ سهلاً لعبورِ الآخرينَ .



شجرة السمك

هناكَ قصةٌ من تأليفِ كاتبٍ إفريقىٍّ ، اسمُها "السمكة العجيبة" تستلهمُ جوَّ الحكاياتِ الشعبيةِ ، وتدورُ حولَ صيَّادٍ ، صادفَهُ سوءُ الحظِّ عدةَ أيامٍ ، وأخيرًا اصطادَ سمكةً وجدَها تبكى وتتكلَّمُ ، وترجوهُ أن يُعيدَها إلى الماءِ . فأشفقَ عليها ، واستجابَ لطلبِها . عندئذٍ ألقَتْ إليه السمكةُ شيئًا صغيرًا غريبًا .

وعندما عادَ الصيادُ إلى زوجتِهِ ، سَخِرَتْ من استجابتِهِ لرجاءِ السمكةِ ، التى كانَتْ ستأتيهما بثروةٍ . وفى ثورةِ غضبِها ، ألقَتْ بالشىءِ الغريبِ فِى الطينِ ، أمامَ بابِ الكوخِ .

وفى صباحِ اليومِ التالى ، فوجِئَ الصيادُ وزوجتُهُ بأن ذلك الشىءَ كانَ بذرةً ، أصبحَتْ شجرةً . ولدهشتِهما، فإن ثمارَ تلك الشجرةِ ، كانَتْ عشراتٍ من الأسماكِ !!

وبدأ الصيادُ يبيعُ ذلك السمكَ ، الذى كانَ أشهى ما تذوَّقهُ الناسُ ، فأصبحَ غنِيًّا ومشهورًا ، إلى أن أصبحَ المسئولَ الوحيدَ عن توريدِ السمكِ إلى المائدةِ الملكيةِ . لكن الملكَ سرعانَ ما أصدرَ أوامرَهُ بنقلِ الشجرةِ إلى حدائقه .

وذهبَ الصيادُ آسفًا لينفِّذَ رغبةَ الملكِ ، لكن ما إن خلعَها من مكانِها، حتى ذبُلَتْ بينَ يدَيْهِ وجفَّتْ ، بينما تردَّدَ صوتُ السمكةِ فى المدينةِ يقولُ : " الخيرُ لا يكونُ إلا لِمَنْ يصنعُ الخيرَ!!"



أمير الأولاد

سمعَتْ سيدةٌ إحدى الأمهاتِ تقولُ عن ابنِها :

" إنَّهُ أميرُ الأولادِ ."

فقالَتِ السيدةُ لنفسِها :

" لا بدَّ أن أراقبَ هذا الصبيَّ ، لأرى لماذا تسمِّيهِ أمُّهُ أميرَ الأولادِ ."

وبعدَ قليلٍ ، سمعَتِ الأمَّ تنادى ابنَها ليأتِيَ ويجلسَ مع أخيهِ الصغيرِ ، حتى تقضِيَ بعضَ حاجاتِها.

كانَ الابنُ فى تلك اللحظةِ يلعبُ مع زملائهِ الصغارِ لعبةً مسليةً ، لكنَّهُ عندما سمعَ صوتَ أمِّه ، ألقَى الألعابَ من يدَيْهِ ، وأسرَعَ إلى أمِّه وعلى فمِهِ ابتسامةٌ ، وجلسَ بجانِبِ أخيهِ الصغيرِ ، وأخذَ يلاعِبُه .

وفى مرةٍ ثانيةٍ ، شاهدَتْه السيدةُ وفى يدِهِ برتقالة . وعندَما قابلَ طفلاً فقيرًا ، أعطاهُ نصفَ البرتقالةِ .

وفى مرةٍ ثالثةٍ ، شاهدَتْه يلتقطُ قشرةَ موزٍ ملقاةً وسطَ الطريقِ ، ويضعُها بعيدًا عن أقدامِ السائرينَ .

عندئذٍ قالَتِ السيدةُ لنفسِها :

" الآنَ أرى أن الأمَّ كانَتْ على حقٍّ فى قولِها إنَّ ابنَها أميرُ الأولادِ ."



ابن من ؟

خرجَ فتيانٌ من العربِ يتسابقون فـى إصابـةِ الهـدفِ بـالقوسِ والسهامِ .

وبدأ الأولُ ، فأصابَ الهدفَ ، وقالَ متفاخرًا بنفسِهِ : " أنـا ابـنُ الخليفةِ المُهابِ . "

ورمى آخرُ ، فأصابَ ، وقالَ :

" أنا ابنُ الوزيرِ الحكيمِ ."

ورمى فتًى من عامَّةِ الشعبِ ، فأصابَ الهدفَ ، فقالَ : "أنا ابنُ مَنْ سجدَتْ له الملائكةُ ."

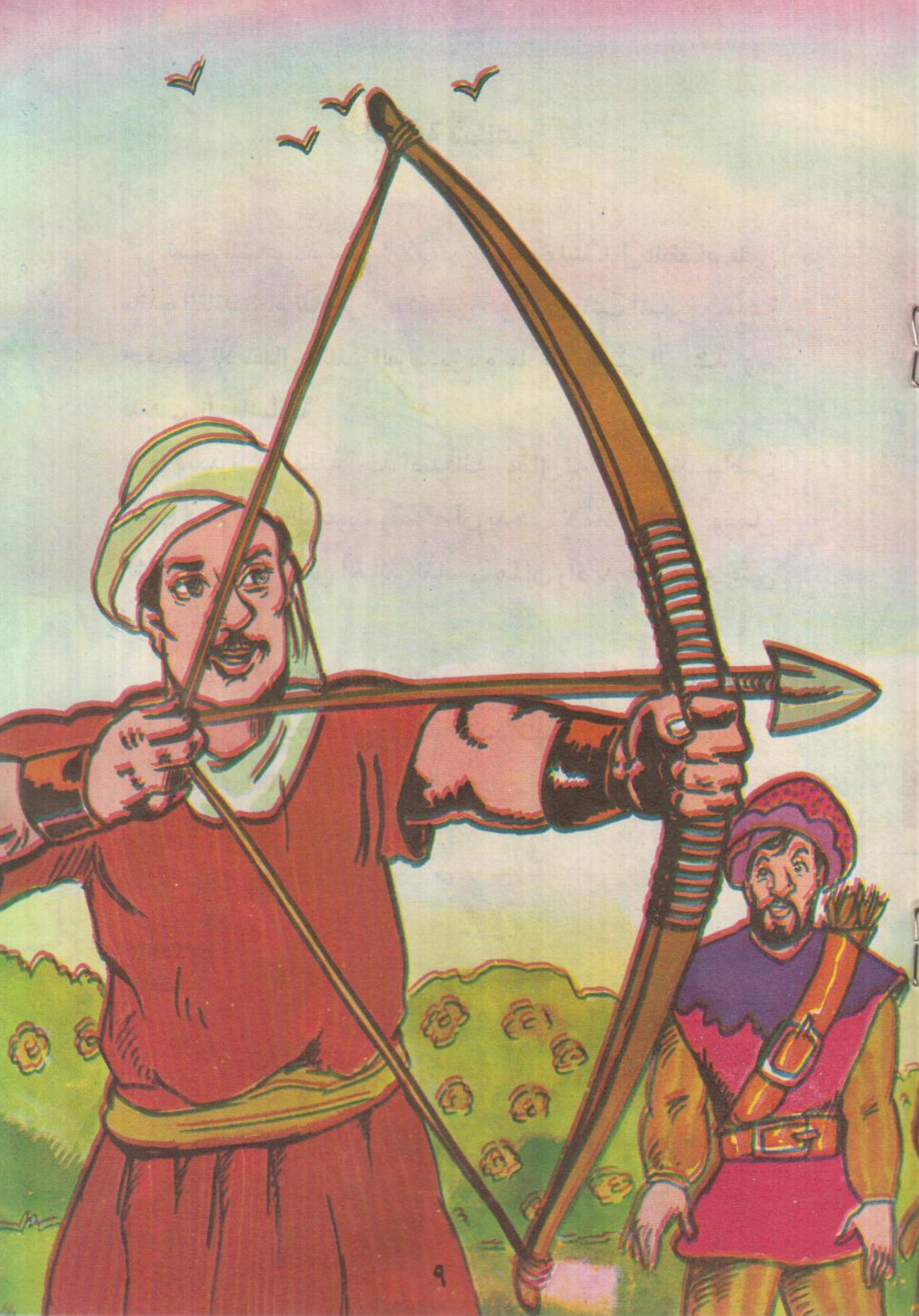
قالوا له :

" مَنْ هو ؟ "

قالَ :

" آدمُ . . . "





لبـاقـة شـاعـر

تسلَّمَ الشاعرُ الفَرَنسِىُّ " لافوتين " دعوةً ليتناولَ الطعامَ على مائدةِ القائدِ العامِّ للجيشِ . ولافوتين هو الذى كتبَ أشهرَ مجموعةِ حكاياتٍ للأطفالِ باللغةِ الفرنسيةِ . وكعادتِهِ ، نَسِىَ الموعدَ، ولم يذهبْ إلى المأدبةِ .

وبعدَ أيامٍ ، قابلَهُ أحدُ أصدقائِهِ ، وقالَ له إن القائدَ غاضبٌ بسببِ عدمِ تلبيتِهِ للدعوةِ ، ونصحَهُ أن يذهبَ لإصلاحِ الأمرِ . وعملَ الشاعرُ بالنصيحةِ ، لكن القائدَ الغاضبَ ما إن رآه يدخلُ عليه حتى أدارَ له ظهرَهُ .

هنا صاحَ لافوتين قائلاً : " الحمدُ للهِ . . أنا واثقٌ الآن أنك لسْتَ غاضبًا منِّى يا سيادةَ القائدِ ، لأنك لا تُديرُ ظهرَكَ لأعدائِكَ أبدًا ".

وضحكَ القائدُ مُعجَبًا بهذِهِ اللباقةِ ، وعاد يرحِّبُ بالشاعرِ العبقرِىِّ الخفيفِ الروحِ .





الخليفة يحلم بكتب العلم

ُيحكَى أن سببَ كثرةِ الكتبِ العلميةِ فى عصرِ الخليفةِ المأمونِ ابنِ هارونَ الرشيدِ ، والإقبالِ على ترجمتِها وتأليفِها ، من سنةِ ٨١٣ م، أن المأمونَ رأى يومًا فى منامِهِ رجلاً جالسًا على سريرِه ، فقالَ له المأمونُ :" من أنت ؟!"

قال: " أنا أرسطو . "

قالَ المأمونُ : " أيها الحكيمُ ، أريدُ أن أسألَكَ . "

قال أرسطو : " اسألْ . "

فقال المأمونْ : " ما هو الحسَنُ؟"

قال الحكيمُ : " ما حَسُنَ فى العقلِ ."

قال المأمونُ : " ثم ماذا ؟"

قال أرسطو : " ما حَسُنَ فى الشرعِ . "

قال المأمونُ : " ثم ماذا ؟ "

قال الحكيم : " ما حَسُنَ عند الجمهورِ ."

قال المأمون : " ثم ماذا ؟"

قال أرسطو: " ثم لا ثم !!"

وكانَ هذا الحلمُ من أهمِّ الأسبابِ فى إخراجِ الكتبِ العلميةِ وترجمتِها ، لأن العقلَ يطلبُها ، والشرعَ يعتبرُها شيئًا حسنًا ، والجمهورَ فى حاجةِ إليها ، لتزدادَ المعرفةُ والتقدُّمُ .

وكان هذا فى القرنِ الثانى الهجرىِّ (التاسعِ الميلادىِّ) منذُ أكثرَ من ١٢٠٠ سنةٍ ، بينما كانَتْ أوربا تعيشُ فى ظلامِ العصور الوسطى الدامسِ .



سنوات قبل أن يتنبهوا !!

يسخرُ الأمريكيون من كثرةِ الموظفينَ فى بعضِ الوزاراتِ .

من ذلك أنهم يتبادلون هذه الحكايةَ ، التى تقولُ إن أسَدَيْنِ هربا من حديقةِ حيوانِ العاصمةِ واشنطن ، وانطلقَ كلٌّ منهما فى طريقٍ غيرِ طريقِ الآخرِ .

وبعدَ أسبوعٍ تَقابَلا فى منتصفِ الليلِ ، فقالَ الأسدُ الأولُ :

" لقد تعبْتُ جدًّا لكى أحصلَ على طعامٍ . كيف استطعْتَ أنت أن تجدَ طعامًا ؟ "

أجابَ الأسدُ الثانى :

" لم أتعَبْ إطلاقًا . لقد وجدْتُ مكانًا مناسبًا جدًّا ، اختفَيْتُ فيه داخلَ مبنىَ البنتاجون (وزارة الحربية)، وكنتُ آكلُ جنرالاً كلَّ أسبوعٍ . وأعتقدُ أنه ستمضِى سنواتٌ قبلَ أن ينتبهوا إلى غيابِ أحدٍ!"



يحتاج إلى لحم !!

ذهبَ أصدقاءُ جحا لزيارتِهِ ، فوجدوهُ يطهو قِطَعًا من اللحـمِ . . . مدَّ أحدُهم يدَهُ ، وتناولَ قطعةً وأكلَها ، ثم قالَ لجحا :

"هذا اللحمُ لذيذُ الطعمِ ، لكنه يحتاجُ إلى قليل من الملحِ ."

وتَقدَّمَ آخرُ ، وأخذَ قطعةً ثانيةً من اللحمِ ، وأكلَها ، وقالَ :

" بل هذا اللحمُ يحتاجُ إلى قليلٍ من الفلفلِ ."

وسرعانَ ما كانَ الثالثُ يمضغُ قطعةَ لحمٍ ثالثةً وهو يقولُ : "إنه لا يحتاجُ إلى ملحٍ ولا إلى فلفلٍ ، بل يحتاجُ إلى قليلٍ من السمنِ !"

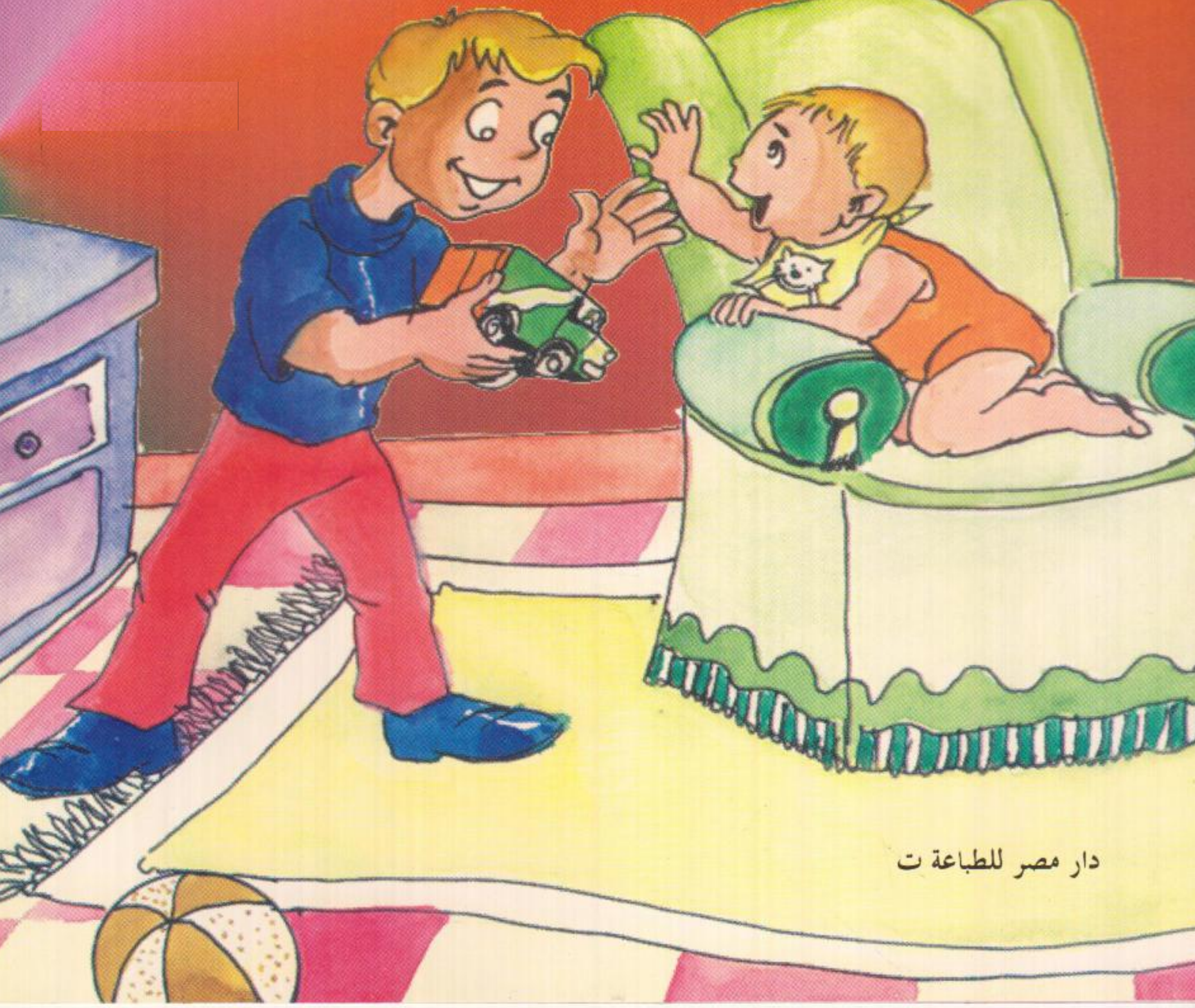
هنا أسرعَ جحا ، وأخذَ آخرَ قطعةٍ من اللحمِ ، ووضعَها بسـرعةٍ فى فمِهِ وهو يقولُ :

" لا . . لا . . إنه يحتاجُ فقط إلى بعضِ اللحمِ !! "



صدر من هذا السلسلة

١ ـ كيس الخصام
٢ ـ طيران بغير طعام
٣ ـ النمر لا يهزم السلحفاة
٤ ـ أسد فى المطعم
٥ ـ كلمة سحرية
٦ ـ النحلة تقود العربة
٧ ـ جحا واللاشىء
٨ ـ عيد للجميع
٩ ـ نهاية ملك المزرعة
١٠ ـ انفجار فى معمل
١١ ـ الربح فى غرامة
١٢ ـ الأسد ورائحة فمه
١٣ ـ شاى وفطائر
١٤ ـ الآلة المتكلمة
١٥ ـ جرس الإنذار
١٦ ـ الأمير والحمام
١٧ ـ الخليفة ينقذ قطة
١٨ ـ القفزة الشجاعة
١٩ ـ يشرب ماء النهر كله
٢٠ ـ اعتداء المضحك
٢١ ـ قتلتنى يا شيطان
٢٢ ـ أم لا تخاف
٢٣ ـ لا خطر الآن
٢٤ ـ تغريد جحا
٢٥ ـ ذكاء المهرج
٢٦ ـ من يحبها أكثر ؟
٢٧ ـ لحم فى الهواء
٢٨ ـ الوهم الجميل
٢٩ ـ ذهب وعاد حافيًا
٣٠ ـ أعظم يوم فى حياتى
٣١ ـ الشمس وعنقود العنب
٣٢ ـ سيدة الأزهار
٣٣ ـ حلوى لأمير المؤمنين
٣٤ ـ تظاهر بالجنون
٣٥ ـ أذكى الأذكياء
٣٦ ـ القلب الذهبى
٣٧ ـ رحل فى الهواء
٣٨ ـ هزيمة أسد
٣٩ ـ أم فوق الجليد



دار مصر للطباعة ت